- ٢ -

هجرة النبى عليه الصلاة والسلام

وزواجه من عائشة

عرف النبى ﷺ الحياة الزوجية المستقرة مع السيدة خديجة فلم يتزوج غيرها فى حياتها.

وفرت له هذه السيدة الفاضلة الحياة الآمنة المستقرة قبل الرسالة وبعدها. وقد ساعدته على أن يعيش حياته التى يحبها.. فقد كان يحب التأمل والتفكير الطويل.

وكان يحب أن يتعبد فى الأيام ذوات العدد فى شهر رمضان من كل عام.

وعندما نزل عليه جبريل عليه السلام فى غار حراء، حيث نزلت أول آيات القرآن الكريم:

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾ [العلق: ١-٥].

عرف النبى أن عهدًا جديدًا قد بدأ فى حياته.. وأن هناك حدثًا ضخمًا قد حدث.. وأن عليه فى مستقبل الأيام حملا هائلا سوف يتحمله.

ولم يكن هذا الحدث سهلاً ولا يسيرًا.

إنه يتلقى الوحى من السماء.

وإنه قد عرف جبريل عليه السلام الذى ضمه إليه، وهو يأمره بقراءة ما نزل عليه من آيات الذكر الحكيم.

ولم يكن النبى يقرأ ولا يكتب.

ولكن كان هذا إيذانًا بأهمية العلم فى الحياة.. وأهمية المعرفة..

ورجع الرسول إلى بيته يرتجف وهو يردد:

«زملونى.. زملونى».

وعندما ذهب عنه الإحساس بالخوف، وأم المؤمنين خديجة تحاول أن تزيل عنه الروع سمعته يقول: «خشيت على نفسى».

قالت له السيدة خديجة:

- «كلا.. والله لا يخزيك أبدًا.. إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتقرى الضيف، وتحمل الكَلَّ، وتكسب المعدوم، وتعين على نوائب الدهر».

ولم تتركه مع مخاوفه بعد أن شاهد ما شاهد، لقد أخذته إلى ابن عمها ورقة بن نوفل.. الذى كان من الحنفاء.. فلم يعبد ما كان يعبده قومه من الأصنام.. ولكنه كان مؤمنًا بالله، قارئًا للتوراة والإنجيل.. واثقًا من البشارات التى جاءت بها عن النبى الخاتم.

وما كاد ورقة يسمع من الرسول ما سمع، عما حدث له فى غار حراء.. حتى تهلل وجهه.. فهذه البشارات التى قرأ عنها سوف تتحقق.. وأن محمدًا هو النبى الخاتم.. قال له ورقة:

هذا الناموس الذى كان ينزل على موسى، يا ليتنى أكون حيًا إذ يخرجك قومك.

قال الرسول ﷺ متعجبًا:

- أمخرجى هم؟

قال ورقة:

- نعم.. لم يأت أحد بمثل ما جئت به إلا عُودى، وإن يدركنى يومك هذا أنصرك نصرًا مؤزرًا.

ولكن ورقة مات بعد ذلك بقليل، ولم يدرك الرسول عندما حاول قومه قتله، وأراد له الله أن يهاجر من مكة إلى يثرب.

انقطع الوحى فترة، حتى اشتاق الرسول إلى رؤياه.. فلم يعد خائفًا من لقاء جبريل.. بل كان مشتاقًا إلى أن يرى هذا الملاك الكريم..

وحزن حزنًا شديدًا لانقطاع الوحى، إلى أن عاوده الوحى وقد جاء فى الصحيحين عن جابر بن عبد الله:

سمعت رسول ﷺ يقول:

«بينما أنا أمشى سمعت صوتًا من السماء فرفعت بصرى، فإذا الملك الذى جاءنى بحراء.. قاعد على كرسى بين السماء والأرض فجبنت منه فرقًا حتى هويت إلى الأرض، فجئت أهلى فقلت: زملونى.. زملونى.. فأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۝٥﴾ [المدثر: ١ - ٥].

وتتابع الوحى.

وبدأت الدعوة.. وكانت سرية فى أول أمرها.

وكان أول من آمن بها من أصدقائه أبو بكر الصديق، وكان أول من آمن بها من الصبيان على بن أبى طالب، كما آمن به زيد بن حارثة.. وكان عبد خديجة ثم وهبته للرسول.

وزيد هذا كان قد فقده والده، ولما علم فيما بعد أنه بمكة ذهب إليها، وخيَّر ابنه أن يعود معه، أو أن يظل مع الرسول، فآثر زيد أن يظل مع الرسول.. حتى إن والده قال له:

- يا زيد تختار العبودية على أبيك وأمك!

فقال زيد:

- إنى قد رأيت من هذا الرجل شيئًا، وما أنا بالذى يفارقه أبدًا...

ومن هنا أحبه رسول الله، وأعلن أمام الملأ من قريش:

- اشهدوا أن هذا ابنى وارثًا وموروثًا!

وقد ظل كذلك إلى أن نهى الإسلام عن التبنى عندما نزل قوله تعالى: ﴿**ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ**﴾ [الأحزاب: ٥].

وبدأت الدعوة تشق طريقها إلى القلوب والعقول..

وبدأ رد الفعل العنيف من جانب مكة نحو المسلمين.. وزاد من تعذيبهم للأرقاء والضعفاء.. حتى اضطر البعض إلى الهجرة إلى الحبشة.

ثم بلغ طغيان مكة أقصى مداه.. عندما فرضت حصاراً غاشمًا على بنى هاشم والمسلمين.. لا يبتاعون منهم، ولا يتزوجون.. وحاصروهم فى شعب من شعاب مكة!

وقد لبث بنو هاشم فى شعبهم ثلاث سنوات إلى أن ثابت مكة إلى رشدها.. وانتهى أمر هذه القطيعة الظالمة، ولكن الرسول ظل يدعو إلى الإسلام.. غير عابئ بمشركى مكة.

وفى ظل هذه المحنة القاسية ظلت خديجة صابرة مع زوجها لا يلين لها قناة..

وكذلك كان عمه أبو طالب.

ولم تلبث أن ماتت أم المؤمنين خديجة.. وبعدها بأيام.. وقيل خمسة وثلاثين ليلة مات أبو طالب.. وكان ذلك كما يقول ابن كثير قبل الهجرة بثلاث سنوات وسمى العام الذى فقد فيه النبى زوجته خديجة وعمه أبو طالب بعام الحزن.

وقد ظل الرسول يذكر زوجته خديجة طوال حياته..

ومن ذلك مـــا رواه الإمـــام أحـمـد عـــن عائشة رضـى الله عنها قالت:

كان النبى ﷺ إذا ذكـر خديجة أثنى عليها بـأحسن الثناء فغرت يومًا فقلت:

- مـا أكثـر ما تذكرها حـمراء الشدقين، قـد أبدلك الله خيرًا منها.

قال: «**ما أبدلنى خيرًا منها، وقد آمنت بى إذ كفر بى الناس، واستنى بمالها، إذ حرمنى الناس، ورزقنى الله ولدها، إذ حرمنى أولاد النساء**».

* * *

وقد اختلف الرواة فى أيهمـا مات قبل الآخر أبـى طالب أو خديجة.

يقول الشيخ محمد أبو زهرة:

«وقد مات أبو طالب قبل خديجة على أصح الروايات.

وقيل كانت وفاته قبلها بثلاث ليال.

ويذكر بعض الرواة أن وفـاتها كانت قبل وفـاته بنحو من خمس وثلاثين ليلة.

وأن الراجح أن وفاته كانت قبل وفاتها.

ومهما يكن الأمر فى المقدم والمؤخر، فإن وفاتهما أورثت حزنًا شديدًا للنبى ﷺ».

وكان هذا الذى سماه الرسول عام الحزن قبل هجرته إلى مكة بثلاث سنوات.

ولمكانة السيدة خديجة عند ربها، فقد بشرت ببيت فى الجنة من قصب:

روى البخارى بسنده عن أبى هريرة قال:

«أتى جبريل إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله.. هذه خديجة قد أتت بإناء فيه إدام - أو طعام أو شراب - فإذا هى أتتك فأقرأ عليها السلام من ربها ومنى، وبشرها ببيت فى الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب».

النصب هو اللؤلؤ.

* * *

لم ينس الرسول قط هذا الزواج السعيد من السيدة خديجة.. وقد امتد هذا الزواج.. وكانت نعم الزوجة الصالحة للنبى الخاتم ﷺ.. لقد تزوجها فى ريعان شبابه إلى أن تجاوز سن الشباب.. وكانت هى الزوجة الوحيدة له فلما

انتقلت إلى جوار ربها أحس بـالحزن الشديد ورأت خولة بنت حكيم امرأة عثمان بن مظعون أن تعرض على النبى من تؤنس وحدته وتكون له سندًا، وعرضت عليه أن يتزوج.

وسألها: مـن؟

قالت: إن شئت بكرًا، وإن شئت ثيبًا.

فسألهـا عـن البكـر فقـالـت: عائشـة بنـت أحـب خلق الله إليك.

وسألها عن الثيب فذكرت (سودة بنت زمعة).

ولاقى هذا الاقتراح صدى طيبًا عند الرسول.

وذهبت خولـة بنت حكيم إلى أم رومان زوجـة الصديق وأم عائشة.

قالت: ما أدخل الله عليكم من الخير والبركة؟!

قالت أم رومان: وما ذاك؟

قالت خولة: أرسلنى رسول الله أخطب عليه عائشة.

وكان من الطبيعى أن تنتظر الصديق لتعرض عليه الأمر.. كان الصـديق يرى أن محمـدًا أخـاه.. ومـن هنا بـرز فى ذهنه تساؤل:

- وهل تصلح له وهى بنت أخيه؟

ولما سألت الرسول قال لها:

- **قولى له: أنت أخى فى الإسلام وابنتك تحل لى.**

وتقول الروايات أن عائشة كانت مخطوبة لجبير بن مطعم ابن عدى.. وكان لا يزال على الشرك.. وأن أبا بكر توجه إلى مطعم وزوجته حتى يعرف رأيهما.. وهل ما زالا عند وعدهما بأن تتزوج عائشة من جبير؟

إلا أن الأم قالت له إنها تخشى من هذا الزواج، حتى لا يكون هذا الزواج سببًا فى أن يصبأ ابنهما.. ووافقها الأب على ذلك.. ومن هنا فقد تحرر أبو بكر من هذا العهد.. وأنه أبرأ ذمته.

وتمت خطبة النبى ﷺ إلى عائشة وكان ذلك فى شوال سنة عشر من الدعوة.

أى قبل الهجرة بثلاث سنوات.. وقدم لها النبى ﷺ صداقًا (أربعمائة درهم) كما تقول معظم الروايات.

* * *

ومرت ثلاث سنوات حدث فيها الكثير من الأحداث.

إلى أن أوحى الله إلى الرسول بالهجرة إلى يثرب، بعد

أن تآمرت قريش على قتل رسول الله، وكان النبى عقب عودته من الطائف.. كان يعرض نفسه على القبائل لعلها تؤمن بالإسلام.. وحدث أن بايع نفر من أهل يثرب الرسول فى بيعة العقبة الأولى.

ثم بايعه عدد منهم (٧٣ رجلا وامرأتان) فى بيعة العقبة الكبرى.. وكان الإسلام قد انتشر فى يثرب بفضل أول سفير للإسلام بها وهو مصعب بن عمير. وكان النبى قد رأى فى منامه، وقال لأصحابه:

«أُريت دار هجرتكم.. أُريت سَبخَةً ذات نخيل بين لابتين. ولو كانت السَّراة أرضًا ذات نخل وسباخٍ لقلت: هى هى».

..وعندما عُرف انتشار الإسلام فى يثرب، فرح الرسول وعرف أن رؤياه قد تحققت وأنه آن الأوان لأن يهاجر من مكة التى يتآمر عليه أهلها من المشركين، وأن عدد المسلمين لم يزد عن بضع مئات رغم طول دعوته إلى الإسلام فى مكة.

وفى بيعة العقبة الكبرى قال الرسول لهم:

- تبايعوننى على السمع والطاعة فى النشاط (الحرب) والكسل (السلم) والنفقة فى العسر واليسر. وعلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وأن تقولوا فى الله لا تخافوا

لومة لائم. وعلى أن تنصرونى، فتمنعونى إذا قدمت عليكم بما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأولادكم ولكم الجنة إن وفيتم».

وقال البراء:

- نعم، والذى بعثك بالحق لنمنعنك مما نمنع منه أعراضنا وأحسابنا. فبايعنا يا رسول الله فنحن والله أبناء الحرب، ورفقاء السلاح، ورثناها كابراً عن كابر.

وقال لهم الرسول:

« أخرجوا إلىّ منكم اثنى عشر نقيبًا، ليكونوا على قومهم بما فيهم كفلاء ».

فأخرجوا له تسعة من الخزرج، وثلاثة من الأوس فقال لهم ﷺ:

«أنتم كفلاء على قومكم ككفالة الحواريين لعيسى ابن مريم.. وأنا كفيل على قومى».

قالوا: نعم.

فلما بايعوه قالوا له: يا رسول الله، ما لنا بذلك، إن نحن وفينا.

قال: « **لكم الجنة إن شاء الله** » [مسند أحمد].

* * *

وهاجر النبى إلى المدينة بعد أن أمر أصحابه بالهجرة حيث استقبل استقبالا حافلا من أهلها.. وعندما نزل قباء بنى مسجد قباء وبعد أربعة أيام توجه إلى المدينة.. حيث تكالب الناس على راحلة رسول الله. الكل يريد أن يكون النبى ضيفًا لديه. ولكنه كان يقول لهم:

- **دعوها.. (أى الراحلة) فهى مأمورة.**

وبركت الناقة عند دار أبى أيوب الأنصارى.. وكان ذلك فى الثانى عشر من ربيع الأول.

وكان أبو أيوب أسعد الناس بتلك الضيافة.. ونزل الرسول فى الطابق الأول من هذا المنزل، بينما سكن فى الطابق الثانى أبو أيوب وعندما نزل ﷺ من فوق ناقته متجهًا إلى مسكنه.. نزل وهو يقول:

﴿**رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلاً مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ**﴾ [**المؤمنون**: ٢٩].

وكانت المدينة تضم قبيلتى الأوس والخزرج واليهود وبعض الذين لم يسلموا بعد من هاتين القبيلتين، وكان لا بد

أن ينظم الرسول هـذا المجتمع الجديد.. فأخى بـين المهاجرين والأنصار، وظـهرت صحيـفة المدينة التـى أمّن الرسول فيـها اليهود عـلى أموالهم وممتلكاتهـم وحريـة ممارستـهـم العبـادة علـى دينهـم، كـمـا وضـح فى هـذه الصحيـفة حسن الجوار بين الـيهـود والمسـلمين، عـلى ألا يـغدروا بـالمسلـمين، ولا يساعدوا أعداءهم..

وأصبـحت المدينة دولـة لها دستـورها، وأصبح الـرسول يجمع بين السلطتين الروحية والسياسية.

ولكن الـيهود كـعادتهم دائـمًا.. لم يحـافظوا علـى ما تعاهدوا عليه مما اضطر النبى إلى محاربتهم بعد ذلك.

* * *

وفى ظل هذا المجتمع الجديد.. كان لا بد من بناء مسجد يجتمع فيـه المسلمون للصلاة ولتدبير أمور حـياتهم فى الحرب والسلم.

وبنى المسـجد بسواعد المسـلمين من المهاجـرين والأنصار وكان النبى يعـمل معهم فى البناء.. وجعلوا مـحراب المسجد نحو الشمال (تجاه بيت المقدس).. وفتحوا فيه ثلاثة أبواب.. أحدهمـا ينفذ إلى الحجـرتين اللتين بناهـما الرسول لزوجـتيه عائشة، وسودة.

وكانت هذه الحجرات من اللَّبِن وعلى أبوابها المسوح (الجلود).

وكانت الحجرة التى أعدها لعائشة فى غاية التواضع بحيث يستطيع الواقف فيها أن يلمس بيده السقف.. وفى داخلها جَرَّة للماء، وطست من الفخار، وسرير عبارة عن خشبتين مشدودتين بحبال، وفوقه قطعة من القطيفة القديمة، أما الوسادة فمن الليف!

هذا هو كل أثاث بيت رسول الله!!

* * *

أما المسجد فقد بنى على مساحة تبلغ خمسة وثلاثين ذراعًا طولاً، وثلاثين ذراعًا عرضًا، وقد قام بتوسعته الرسول مرة أخرى عندما زاد عدد المسلمين وأقبل إلى المدينة من هاجر من المسلمين إلى الحبشة فأصبح خمسين ذراعًا طولاً وخمسين ذراعًا عرضًا، هذا المسجد الذى اتسع مع كل عصر من العصور الإسلامية منذ عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى أن أصبح ما هو عليه الآن من اتساع يستطيع استيعاب المسلمين الذين يأتون لزيارة قبر نبيهم ومسجده من مختلف بقاع العالم الإسلامى.

وانتقل الرسول إلى بيته بجوار مسجده عندما بنى بعائشة.

وتقول عائشة عن قصة زواجها بالرسول ﷺ:

لما جئنا المدينة أنزلنا أبى فى بيت رجل من الأنصار، فأقمنا فيه أشهرًا. وبينما كنت فى يوم ألعب مع بنات الأنصار إذ أقبل الرسول ﷺ على بيتنا وحوله رجال من المهاجرين والأنصار، فخرجت أمى تطلبنى وقادتنى إلى البيت، وأنا أتصبب عرقًا من اللعب، فمسحت وجهى بالماء، وألبستنى ثوبًا نظيفًا، وأخذتنى إلى رسول الله ﷺ وقالت:

- هذه عروسك يا رسول الله. فبارك الله لك فيها وبارك لها فيك.

وأخذ أصحابه يباركون ويهنئون، وأصبحت من هذا اليوم زوجة رسول الله ﷺ.

ونقلنى الرسول إلى بيته الذى فى جوار المسجد، وكان النبى ﷺ رفيقًا بى، فقد كنت حديثة السِّن.. محبة للعب، يدخل علىَّ البنات فى بيتنا فألعب معهن.

ويرانا الرسول فيقول: ما هذا؟

فنقول له: نلعب خيل سليمان فيضحك.

وكان يدخل علىَّ فيرانى مع صواحبى، فتتحرك له البنات تريد الخروج فيقول لهن:

- مكانكن. ويستبقيهن عندى، ويخرج الرسول دون أن يقطع علينا لهونا. وكان أحيانًا يأتى بصواحبى يلعبن معى.. يريد أن يسرنى بذلك.

وكان ﷺ أوسع صدرًا من والدى، فلقد دخل علينا أبو بكر فى يوم الأضحى، وعندى جاريتان تضربان بالدُّفِّ فانتهرهما أبو بكر.

وقال: أتعملان هذا فى بيت رسول الله؟

فقال له الرسول: «**دعهم يا أبا بكر.. إن لكل قوم عيدًا، وإن عيدنا هذا اليوم**».

وكان يحب أن أشاهد اللهو من وراء حجاب، فقد لعب بعض الحبشة بالحراب أمام بيتنا، فرأيت الرسول ﷺ يقوم على البيت يسترنى بردائه لأنظر إلى لعبهم من بين كتفيه وأذنه، وظل واقفًا يسترنى حتى انصرفت من نفسى.

ونتابع ما ورد على لسان عائشة رضى الله عنها، كما رواه الأستاذ أحمد التاجى فى كتابه (سيرة النبى العربى).. نقلا عن الإمام البخارى:

تقول عائشة رضى الله عنها:

وكان رفيقًا بى غاية الرفق، يعاملنى كابنته، فكان إذا

دخل علىَّ فوجدنى نائمة مشى على أطراف أصابعه حتى لا يقطع على نومى.

وكنت أغضب عنده وأرضى، فيتحملنى فى رضاى وغضبى.

قال لى يومًا: **يا عائشة ما يخفى على حين تغضبين وحين تَرْضَين.**

قلت: بماذا تعرف يا رسول الله؟

قال: **أما حين ترضين عَنِّى، فإذا حلفت قلت: لا ورب محمد!**

وأما حين تغضبين منى تقولين: لا ورب إبراهيم!

قلت: صدقت وإنى والله لا أعدو سوى اسمك.

أى أن حبك يملأ نفسى فى الحالين، ولكنى فى الغضب أتجاوز اسمك.

ورفعت مرة صوتى فوق صوته فى حديث، وسمعنى أبو بكر، وهو قادم علينا فغضب، وهمَّ أن يبطش بى وهو يقول: أترفعين صوتك فوق صوت رسول الله! فمنعه الرسول أن يؤذينى، فلما خرج أبو بكر قال لى الرسول مازحًا وهو يريد أن يسترضينى: **ألا تعلمين أننى منعت والدك وكان يريد أذاك؟**

ودخل والدى بعدها فوجدنا نضحك فقال: أشركانى فى سروركما كما أشركتمانى فى غضبكما.

قالت عائشة: ولم يتزوج رسول الله ﷺ بكرًا غيرى، وقد تزوجنى بأمر السماء.. فقد رأى فى المنام شخصًا يحمل إليه قطعة من الحرير، وقد نقشت فيها صورة، فلما كشف الرسول عنها وجدها صورتى فتعجب من ذلك. فسأل: **من هذه؟**

فقيل له: هذه امرأتك! فازداد عجبًا وتكرر له هذا مرة أخرى.

* * *

فقد حدثنى رسول الله ﷺ بذلك، فقال: رأيتك فى المنام مرتين، أرى رجلا يحملك فى خرقة من حرير.

فيقول: هذه امرأتك. فأكشف عنها فإذا هى أنت!

فأقول: إن يكن هذا من عند الله ينفذه.

* * *

ثم حدث أن جاءت إلى بيته امرأة مسلمة بعد وفاة خديجة.. وقالت له: يا رسول الله، كأنى أراك قد دخلتك الأحزان لفقد خديجة أأخطب لك؟ ثم ذكرتنى له فعجب

الرسول ﷺ من قولها إذ وافق ذلك ما رآه فى منامه..

فكان أن خطبنى من أبى وأنا فى مكة، وتزوجنى بعد ذلك فى أول أعوام الهجرة.

* * *

وقد نقلنى رسول الله ﷺ بالزواج منه إلى عالم آخر لم أكن أهتدى إليه بدونه، وعشت معه الحياة التى يرسمها له ربه، حياة النبوة والزهد فى متاع الدنيا، والرغبة فى الآخرة، وتذكر الله فى كل قول وعمل.

فقد علمنى أن الدنيا مزرعة للآخرة.. فلا طلعت علينا شمس يوم لا نتقرب فيه إلى الله ببعض الطاعات، فلم نعد نرى الدنيا دائمًا متاعًا وزينة، وإنما نراها قنطرة تُبلغنا إلى الله.

* * *

فأقمت مع رسول الله ﷺ فى حجرة ضيقة مبنية باللبِن، تمس اليد سقفها، وليس فيها من الأثاث سوى حصير مفروش على الأرض، وسرير مشدود بالحبال، وأوان من فخار تحفظ طعامنا وشرابنا. ولكن لم أشعر بضيق المكان، لأن رسول الله ﷺ قد وسَّع قلوبنا وعقولنا، فجعلها تتطلع على رحاب السموات والأرض، وتتنقل فى ملكوت الله العظيم، فلا

يشعر الإنسان بزمانه ولا بمكـانه، وإنما يشعر أنه من ملك الله الكبير، وأن عـليه أن يطيع صاحب الأمر ويفنـى فى عبادته، فتنسلخ نـفسه شيئًا فشـيئًا من الأرضيَّة، وتسـبح فى العلويَّة، فإذا حدث لـه ذلك هانت عليه الدنـيا وما فيـها، ورضى من الحياة بأقل متاع، وطمع فيما عند ربه من جزاء وثواب.

* * *

وتقول السيدة عائشة أيضًا:

فكان خـبزنا الشعـير أطحنه بـيدى فى الرَّحى، وطعـامنا التمر والماء. وقد تيسر لنا اللبن بعد حين.

ولقد كان يمر الشهر والشهران والثلاثة ولا يوقد فى البيت نار لخبز أو طعام.

ولم يمتلـئ جوف رسول الله ﷺ شـبعًا قط، ولا عـرفنا الشبع من التمر إلا بعد فتح خيبر.

ولم يشك رسول الـله ﷺ إلى أحد حاجة، وكـان الفقر أحب إليـه من الغنى، وكان يـظل نهاره جـائعًا، ويبيـت ليله كذلك، ولا يمنعه هذا من صيام غيره متى طلع النهار.

ولقد بكـيت مرارًا من الشفـقة عليه، إذ كـنت أراه يربط على بطنه الحجر والحجرين ليـسكن ما به. فكنت أمسح بطنه

بيدى وأقول له: نفسى فداك يا رسول الله لو أخذت من الطعام ما يقويك على الصيام؟!

فكان يقول:

«يا عائشة مالى وللدنيا، لقد سبقنى أولو العزم من الرسل، وصبروا على ما هو أشد من هذا فمضوا على حالهم، وقدموا على ربهم، فأكرم مآبهم وأحسن ثوابهم. وإنى أخاف إن ترفهت فى معيشتى أن يُقصَّر بى غدا عنهم وليس أحب إلىَّ من ألحق بإخوانى وأخلائى».

* * *

وما أكثر ما رواه الإمام البخارى من الأحاديث عن عائشة رضى الله عنها.

كانت بالغة الذكاء. وكانت شديدة الحفظ.

وكانت أثيرة عند الرسول ﷺ... لأنها كان لها دور بارز فى تعليم النساء تعاليم الدين.. فقد طلبت النساء من الرسول ﷺ أن يكون لهن مجلسًا، ولقيهن الرسول فى بيته أو فى أحد بيوت أصحابه كما يروى الإمام البخارى، يعظهن ويعرفهن أمور الدين، وكانت السيدة عائشة تلتقط كل ما يقوله الرسول، وكانت تشرح ذلك للمسلمات.. وكان

الرسول ﷺ يسمع لها، ويلتمس لها العذر عندما تغار من نسائه..

فقد ورد عن عائشة قولها: دخل النبى ﷺ علىَّ يومًا فقلت له:

- أين كنت اليوم؟

قال: كنت عند أم سلمة.

قلت: ما تشبع من أم سلمة؟

فتبسم ﷺ لغيرتى منها، ثم قلت:

- يا رسول الله.. ألا تخبرنى عنك لو نزلت بعدوتين (جانبا من الوادى) إحداهما لم ترع، والأخرى قد رعيت، أيهما كنت ترعى؟

قال: التى لم تُرع.

قلت: فأنا لست كإحدى نسائك. كل امرأة من نسائك قد كانت عند رجل، غيرى.

فتبسم النبى ﷺ لقولها.

* * *

وكانت عائشة تستفسر من الرسول عن كثير من أمور الفقه حتى يمكنها أن تفسر هذه الأمور للنساء.

وكم صححت السيدة عائشة من أحاديث، وأوردت الحديث كاملاً صحيحًا كما ورد عن رسول الله..

.. فقد سمعت مثلا أن عمر رضي الله عنه كان يحدث عن رسول الله ﷺ أنه قال:

« إن الميت يعذب ببكاء أهله عليه ».

فقالت عائشة:

رحم الله عمر. والله ما حدث رسول الله ﷺ أن الله يعذب المؤمن ببكاء أهله عليه، ولكن رسول الله ﷺ قال: **«إن الله ليزيد الكافر عذابًا ببكاء أهله عليه».**

وقالت حسبكم القرآن: ولا تزر وازرة وزر أخرى.

وما أكثر الأحاديث التى روتها السيدة عائشة، وما أكثر ما صححت من بعض الأحاديث التى رويت منقوصة، كما روت أحاديث كثيرة عن كيفية صلاة النبى وتهجده وصيامه وقيامه، وكيف كانت سلوكياته مع زوجاته.

فكانت التلميذة البالغة الذكاء فى مدرسة الرسول، التى استفاد من فقهها الناس، وخاصة النساء عندما كن يسألنها عن بعض الأمور التى تخص المرأة.

منها مـثلا كما يروى فى الصـحيحين (البخـارى ومسلم) عن عائشة رضى الله عنها:

أن امرأة سألت النبى ﷺ عن كيفية طهارتها من الحيض، فعلمها كيف تتطهر وقال لها:

خذى فِرصَةً (قطعة) من مسك فتطهرى بها.

قالت: كيف أتطهر بها؟

قال: سبحان الله تطهرى.

فاجتذبتها عائشة إليها وقالت:

تتبعى بها أثر الدم فى قطعة من الصوف.

.. و.. ما أكثر ما يرويه الفقـهاء عن دور السيدة عائشة فى تثقيف النساء فى أمور الدين.

* * *